(١) مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

موضوع هذه الدورة المتقدمة "العقيدة الطحاوية" ولا يخفى أن هذه العقيدة المباركة من أشهر العقائد التي يتداولها أهل السنة والجماعة وتلقوها بالقبول والرضا، وهذه العقيدة تنسب إلى مؤلفها وهو الإمام الطحاوي واسمه أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي، أما نسبته الأزدي فإلى قبيلة الأزد قبيلةٌ حجازيةٌ معروفة، وأما نسبته الطحاوي فإلى قريةٍ في صعيد مصر يقال لها طحا فالنسبة إليها طحاوي.

وقد كان مولده –رحمه الله– في القرن الثالث من القرون الفاضلة وتحديداً في سنة (٢٣٩هـ) مئتين وتسع وثلاثين للهجرة.

وقد نشأ نشأةً علمية وحمله طلبه للعلم إلى أن يقصد خاله إسماعيل بن يحيى المزني صاحب الشافعي بل هو أشهر أصحاب الشافعي والراويةُ عنه، فلزمه وتلقى عنه وعن غيره حتى أنه لا يكاد يطرأ أحدٌ بأرض مصر إلا تلقاه وأخذ عنه وحفظ وبرع ومن طريف ما جرى له –رحمه الله– أن خاله قال يوماً وهو في مقتبل الطلب: والله لا يأتي منه شيء، فأثرت هذه الكلمة في نفسه ولطالما أثرت جمل وكلمات في حياة العلماء.

هل تعلمون أن الذهبي –رحمه الله– قال عنه البرزالي مرةً وهو في صغره قال: إن خطك يشبه خطوط المحدثين فشغف بطلب علم الحديث، فلا تحقرن من المعروف شيئاً فربما كلمة تركت في نفس طالب العلم أثراً عظيماً.

الأمام البخاري –رحمه الله– سمع مرةً من أحد شيوخه من يقول: لو انتدب أحدٌ إلى جمع الصحيح فجمع صحيح البخاري وصار هذا الكتاب العمدة أصح كتاب بعد كتاب الله، فالمهم أنه طلب العلم حتى برع فيه وصار إماماً وكان في مبدأ أمره على مذهب الشافعي لكنه بعد ذلك مال إلى مذهب أبي حنيفة والذي حمله على ذلك كما تقول الروايات أنه رأى خاله إذا أشكلت عليه مسألةٌ من المسائل التي محل رأيٍ ونظر رجع إلى كتب الحنفية فانتفع بها فحمله ذلك على الاشتغال بها فبرع فيها وصار من أهلها.

أما مذهبه في الاعتقاد فهو على طريقة أهل السنة والجماعة بحمد الله إلا في مسألة الإيمان التي خالف فيها عموم الأحناف بقية أهل السنة والجماعة وسيأتي بيانها إن شاء الله تعالى.

وألف –رحمه الله– مؤلفاتٍ نافعة ماتعة منها كتابه "مشكل الآثار" الذي جمع فيه المتضاد أو ما يبدوا منه تضاد في النصوص فألف بينها وجمع بينها بطريقةٍ مقنعة وتكلم عليها روايةً ودراية، وأوسع منه كتاب "معاني الآثار" وله شرحٌ للجامع الصغير والجامع الكبير وتفنن في أمورٍ كثيرة ومنها هذه العقيدة المختصرة "العقيدة الطحاوية" وهو –رحمه الله– لم يسمها بهذا الاسم لكن لا يخفاكم أن كثيراً من أسماء الكتب تأتي من غير مصنفها بل تكون إما منسوبةً إلى المؤلف كهذه أو إلى الجهة التي ورد منها السؤال كما نجد هذا كثيراً في كتب شيخ الإسلام ورسائله الرسالة الواسطية، العقيدة الواسطية، الرسالة التدمرية،

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

القبرصية، وفي رسائل كذلك الحموية وفي رسائل ابن القيم التبوكية المدنية إلى غير ذلك، فهذا الاسم غلب على هذه العقيدة نسبة إليه –رحمه الله– وهي كما سماها مؤلفها أو كما عرفت به عقيدة كما قال هو في مبدأ (**هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة**).

ومعنى العقيدة من حيث **اللغة**: مشتقٌ من العقد وهو الحزم والشد والربط فإذا قيل عقد الحبل يعني ربطه وشده، **والمراد بها ما ينعقد عليه القلب من العلوم اليقينية والمعارف الإيمانية ومن هنا سميت عقيدة**؛ لأن العقيدة أمرٌ يطلب فيه جزم والشد وعدم التردد فلذلك سميت عقيدة وهذا اسمٌ من الاسماء المعتبرة عند أهل السنة والجماعة أن تسمى جملة المعارف اليقينية والأصول العظيمة بهذا الاسم، ولعلي أذكر لكم أسماء مرادفة يستعملها أهل السنة والجماعة في الدلالة على هذا المعنى **فمنها العقيدة** كما هاهنا وما أكثر الكتب التي سميت باسم العقيدة **ومنها الإيمان**، فإن عدداً من المصنفين من السلف يسمي ما يجمعه من رواياتٍ في هذه الأبواب باسم الإيمان **ومنها السنة** وقد صنف كثيرٌ من المتقدمين وسمى ما كتبه كتاب السنة وإن كان لفظ السنة صار في الأزمنة المتأخرة ينصرف إلى علم الحديث لكنه كان عند المتقدمين يراد به مسائل الاعتقاد، أيضاً ثم لفظٌ رابع استعمله بعض أهل السنة **وهو الأصول** فيسمون ما يكتبونه في أمهات الاعتقاد أصولا، ولكلٍ من هذه الاسماء الأربع شواهد ودلائل وأمثلة من المصنفات يطول المقام بذكرها.

وبإزاء هذه الاسماء الأربعة لعلنا نذكر أسماء لا يصح إطلاقها على هذا الفن وإن كانت قد أطلقت زوراً وبهتاناً فمنها ***مثلاً:*** لفظ **الفلسفة** فلا يصح أن تسمى هذه المسائل الشريفة فلسفةً؛ لأن كلمة فلسفة كلمةٌ يونانية مركبةٌ من شقين هم ينطقونها **هكذا فلي سوفي فلي معناها محبة، وسوفي معناها حكمة**، فهي محبة الحكمة ويقصدون بها ما تتفتق عنه عقول الرجال من المفكرين من آراء ونظرات فصاروا يسمونها فلسفةً.

وأشهر الأمم في الفلسفة هم اليونان "الإغريق" فقد كان لديهم مدارس فلسفية متعددة كمدرسة: الرواقيّن، والمشائيين، والصفصطائيين، وغير ذلك من المدارس وهي كلها نتاجٌ بشريٌ لايستنير بنور النبوة لأجل ذا برأنا ساحة العقيدة من هذا الاسم؛ لأن اسم الفلسفة يدل على نتاجٍ بشري غير مستضيءٍ بنور النبوة فإن اليونان وأساطيلهم إلى إراسطوا لم يكونوا ممن أخذ عن الأنبياء بل كانوا يمتحون من عقولهم وأفكارهم والتناقض فيهم كثير وكان من أسوئهم آخرهم وهو إراسطوا الذي أفسد ما كان عليه من قبله من الأساطين: أفلاطون، وسقراط، وفيثاغورس وغير ذلك يعني زاده فساداً.

ومن الألفاظ التي لا يجوز أن يسمى بها علم الاعتقاد **"علم الكلام"** فإنه قد شاع لدى الإسلاميين تسمية هذا الفن بعلم الكلام، وهذا باطل فإن علم الكلام مذموم، إذ أن علم الكلام أيضاً مبناه على الكلام بغير إهتداءٍ بنور النبوة وإنما بالإعتماد على المقدمات المنطقية التي أسسها إراسطوا لتوصل إلى نتائج عقدية.

فعلم الكلام تعريفه: هو إستنتاج المسائل العقدية بناءً على مقدماتٍ عقلية محضة؛ لأجل ذلك ذمه السلف وعدوا ذلك دخيلاً على الأمة، فإن السلف رحمهم الله لم يزالوا يعتصمون بالكتاب والسنة يوصي بعضهم بعضاً بهذا ويتلقون الآثار والرواية عن رسول الله يعضون عليها بالنواجذ لا يحكمون العقول بل يجعلون العقل تابعاً للنقل، حتى جاء زمن المأمون العباسي الخليفة العباسي فأمر بترجمة كتب اليونان إلى العربية فترجمت بقضها وقضيضها، كتب الفلك، والرياضيات، وكتب الإلهيات كما يسمونها، وكتب المنطق فالتاثت عقول كثيرٍ من المسلمين بهذا وزهدوا بالرواية وعلوم الكتاب والسنة واشتغلوا بعلم المنطق ورأوا أن يقيموا

العقائد على المقدمات العقلية والذي تزعم هذا الاتجاه هم المعتزلة فاقتربوا من بلاط المأمون وأثروا فيه بل إنهم كان لهم دور في تربيته منذ صغره حتى كان سنة ١١٨ أعلن القول بخلق القرآن وحمل الناس على ذلك وحصلت الفتنة المشهورة، ثم إنه بعد ذلك إزداد علم الكلام حتى وجد في الإسلاميين المنتسبين إلى السنة من لم يتمكن التميز بين شبهات المعتزلة والجهمية فجاء بمذهبٍ ملفق بينما كان عليه السلف وما كان عليه المعتزلة وعرف **هؤلاء بالصفاتية** ومنهم **الأشاعرة والماتوريدية وأتباع القلامسي وأتباع الحارث بن أسد المحاسبي وغير ذلك** قومٌ لم يميزوا بين ما عليه السلف من السنة المحضة، وما عليه المعتزلة فأتوا بمذهبٍ ملفق وعرف هؤلاء جميعاً بأهل الكلام وأهل الكلام هم الذين يحاولون إثبات العقائد الدينية بالطرق العقلية.

وبلغ السلف في ذمهم حتى قال الإمام أحمد –رحمه الله–: لا يفلح صاحب كلامٍ أبداً، وحتى قال الشافعي: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ثم يطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام والحديث فيهم يطول وذم السلف فيهم متواتر.

ومن الألفاظ التي لا يجوز إطلاقها أيضاً على العقيدة مصطلح "**الفكر الإسلامي**"، فإن العقيدة ليست فكراً العقيدة وحيٌ رباني معصوم والفكر نتاجٌ بشري يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ لذلك لا يصح إطلاقها على مسائل الاعتقاد ربما ساغ أن يطلق ذلك على بعض المسائل الإجتماعية أو الفروع الفقهية ونحو ذلك مما فيه مسرحٌ للنظر أما هذه المسائل الأصلية فلا يصح أن تسمى فكراً وبعضهم يتوسع ويقول أيضاً وهي من الألفاظ المرفوضة الأيدلوجية نسبةً إلى كلمة آيديا وتسمعون هذا في كتابات بعض الصحفيين أيدلوجية يريدون بها الكلمآيد يعني الفكرة فهي ترجع أيضاً إلى المعنى السابق.

إذاً: هذه عقيدةٌ من العقائد السلفية التي سطرها بنان هذا الإمام أبو جعفر الطحاوي وهذه كنيته أبو جعفر، وملامحها العامة كما يلي:

أولاً: **أنها صنفت في مجمل الاعتقاد** وذلك أن السلف يصنفون في الاعتقاد على ضربين إما في مجمل الاعتقاد بأن يمروا على جميع أبواب الاعتقاد، وإما في مفصل الاعتقاد بأن ينتقي أحدهم مسألةً من المسائل كمسألة القدر أو مسألة الكلام أو مسألة الرؤية أو مسألة الإيمان فيصنف فيها جزءً، فهذه العقيدة تنتمي إلى الجزء الأول وهو التصنيف في مجمل الاعتقاد.

من خصائص هذه **العقيدة الإيجاز**، والإيجاز ضده الإطناب فهي أتت بعباراتٍ موجزة لا بعباراتٍ مسهبة، ومن خصائصها **التقعيد** أي أنها تضمنت قواعد جمل تصلح كل جملةٍ منها أن تكون قاعدةً في بابها كما سيتبين معنا إن شاء الله.

ومن سماتها وخصائصها **أيضاً التسجيع**، فيها سجعٌ بين وهو سجعٌ مستحب لا تكلف فيه من حيث الجملة والسجع تألفه الأذن وتهفوا إليه الأذن ما لم يخرج إلى حد التكلف أو يؤثر على صحة المعنى، ومن سماتها وخصائصها وهي تعد في الحقيقة من الماخذ **عدم الترتيب**، فإن المصنف –رحمه الله– فرق بعض مسائلها وبثها في أول الكتاب وأوسطه وآخره كما يتضح ذلك جلياً في مسألة القدر، فإنك لو بحثت عن مسألة القدر في هذا الكتاب لوجدتها مفرقةً فيه فهذا من الأمور التي ممكن أن تستدرك.

ولهذا عمدنا في هذه الدورة أن نعتمد ترتيباً كنت قد كتبته قبل بضع سنين في إحدى الدورات كان ذلك في مستهل شهر محرم من عام ١٤٢٧ للهجرة وجرى بحمد الله تعالى شرحه على هذا الترتيب من قبلي ومن قبل غيري من الأفاضل وهو الذي سوف نعتمده في هذه الدورة إن شاء الله.

فقمت بترتيبها على أصول الإيمان حتى نسلك فيها المسلك النبوي وأدى هذا بطبيعة الحال إلى ضياع السجعه في بعض المواقف لكن ما يهمنا هو المعنى.

ثم نقطةٌ أخيرة تتعلق بهذه العقيدة وهي أنه وقع فيها شيءٌ من الخطأ ولا عصمة إلا لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الخطأ في هذه العقيدة **محدود ويمكن عده بست مواضع ثلاثةٌ منها لفظية وثلاثٌ منها معنوية** وسنأتي إليها إن شاء الله تعالى ولعل أبرز مسألةٍ تقيد في هذا المقام هي مسألة الإيمان حيث قال الطحاوي إن الإيمان هو قول اللسان واعتقاد الجنان ولم يدخل فيه عمل الأركان.

ومسألةٌ تتعلق أيضاً بالكفر ومسألةٌ تتعلق بالإطاقة وثم مسائل لفظية كالتعبير بلفظ القديم والجهات والغايات والأركان والأعضاء هي نوعٌ من الخطأ اللفظي ننبه عليه في موضعه، وأما من حيث الجملة فهي جاءت بالكتاب والسنة ما يعول على قوله: ويعلم أنه أخذه من ما يحتج به، قال حجة الإسلام أبو جعفر وهذه كنيته الوراق ولفظ الوراق هو من يشتغل بالورق وقد كان علماء السلف لا يخلوا أحدهم من صنعة ومهنة كما يتضح ذلك في أسماء المحدثين فقد كان كسبهم بأيديهم -رحمهم الله- والطحاوي سبق بيان نسبتها إلى قريةٍ في صعيد مصر، ولهذا قال بمصر: (**هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة**) هذا المشار إليه ما يأتي من العلم الذي سطره في هذه الرسالة.

وأهل السنة والجماعة هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم والعمل بها ظاهراً وباطناً في الأقوال والأعمال والاعتقادات هذا تعريفها، وهذا الوصف أيها الإخوان ينطبق على كل من كان عليه النبي وأصحابه ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها وقال محذراً مبيناً: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاثةٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) وحديث الافتراق حديثٌ صحيح تلقته الأمة بالقبول ولا تلتفت إلى من يوهنه ويضعفه من دعاة التجميع والتأليف على غير سنةٍ وإتباع.

وفي روايةٍ أنه سئل من هم فقال: هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي، فالذين كانوا على مثل ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم هم التابعون لهم بإحسان، وقد حمل هذا الدين من كل خلفٍ عدول ينفون عنه تحريف الغالي وانتحال المبطلين وابتداع المبتدعين فلم يزل بحمد الله محفوظاً كما تكفل ربنا عز وجل - {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩] والذكر الذي تكفل الله بحفظه القرآن العظيم والسنة؛ لأن السنة أحد الوحيين فالله تكفل بحفظها كما تكفل بحفظ كتابه، ومن حفظ السنة أن قيض الله لها علماء راسخين صيارفة كصيارفة الذهب والفضة ينفون عنها كل دخيل فبقيت بحمد الله تعالى محفوظةً مصونة كما القرآن العظيم محفوظٌ مصون.

وبقي العمود الفقري للمسلمين هم أهل السنة والجماعة على مدار التاريخ لم يزالوا عصمة للأمة صحيح أنهم يقوون ويضعفون من جيلٍ إلى جيل وفي قبيلٍ دون قبيل لكنهم لم ينقطعوا فإن النبي صلى الله عليه وسل قد أخبر قال: (لاتزال طائفةٌ من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي وعد الله أو حتى يأتي أمر الله)، وتأمل (لا يضرهم من خالطهم ولا من خذلهم) **خالفهم علمياً يعني من الناحية النظرية وخذلهم عملياً** فهم باقون بحمد الله إلى يوم القيامة ونقصد بالقيامة إلى قرب يوم القيامة فإن نبينا صلى الله عليه وسلم أخبر بأن الساعة تقوم على شرار الخلق حيث لا يقال الله الله، وأن

ريحاً يبعثها الله تعالى في آخر الزمان تقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى على وجه الأرض مؤمن.

فهذا هو المراد بهذه الطائفة المنصورة وهم الفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة لهم هذه الألقاب الشريفة، وصحيحٌ أنه يكفي اسم الإسلام أن الله تعالى قد قال: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا} [الحج: ٧٨] ولكن لما كثر المنتسبون إلى الإسلام وصاروا فرقاً وشيعاً وأحزاباً احتاج أهل السنة المحضة الخالصة من الشوب إلى أن يتسموا باسمٍ أدق وأخص فلذلك قيل أهل السنة والجماعة وهم السلفيون، ولهذا لا داعي أن يتشاجر أهل السنة في هذه الألفاظ أو أن ينصبوا عليه النزاع والخلاف، أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم السلفيون هم أهل الكتاب كل هذه معاني مترابطة.

قال –رحمه الله –:(هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين) لاتثريب عليه –رحمه الله– أن سمى أئمة مذهبه فإنهم وإن كانوا أئمة لمذهب الأحناف ومن أئمة المسلمين والمسلمون أمةٌ واحدة وإنما قدم بالذكر من تلقى عنهم وتفقه على مذهبهم كما يقع ذلك لأحدنا حينما يسمي يسمي أشياخه ومن تلقى عنهم ومن انتفع بعلمهم وليس معنى ذلك خلافهم لبقية أهل العلم كالشافعي ومالك وأحمد بل هم بحمد الله في مسائل الأصول على طريقةٍ واحدة وإن اختلفوا في الفروع فهم في الفروع يلتقون ويفترقون ويتوافق بعضهم مع بعض في مسائل ويفترق هؤلاء مع هؤلاء في مسائل وهم جميعاً بحمد الله على منهجٍ واحد وهو البحث عن الحق والاجتهاد فيه.

وقد قال نبينا :(إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحد) فالحقيقة أن المجتهدين متفقون وإن اختلفوا؛ لأنه يجمعهم نية إرادة الحق والصواب وهذه النية كافية في صفاء النفوس والتعاذر والتغافل وإحسان الظن وإنما يأتي العيب واللوم والنعي بالسوء على من كان همه التشاجر والخصومة والخلاف وغير ذلك وقد برأ الله أهل السنة والجماعة من هذا فلم يقع فيه إلا المتعصبون التعصب الذي ذمه العلماء.

أما هؤلاء الثلاثة فلا نطيل بذكرهم فرأسهم أبو حنيفة النعمان أقدم أئمة المذاهب الأربعة –رحمه الله– وكانت ولادته سنة ٨٠ للهجرة ووفاته سنة ١٥٠ وقد ملأ الدنيا فقها وكان قد أوتي ذكاءً وفطنةً وإن كاننت بضاعته في الحديث دون غيره، ولهذا سميت مدرسته مدرسة أهل الرأي وتلميذاه وأحدهما أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري –رحمه الله– كانت ولادته سنة ١١٣ ووفاته سنة ١٨٢ –رحمه الله رحمة واسعة– وكان أيضاً فقيهاً وقد رحل إلى مالك وانتفع به واستفاد وضم العلم بالآثار العلمي بالرأي وثالثهم هو أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة –رحمه الله– وقد كانت وفاته سنة ١٨٩ رحم الله الثلاثة وغيرهم من أئمة المسلمين رحمةً واسعة.

هذه المقدمة بين فيها –رحمه الله– أنها عقيدة أهل السنة والجماعة من فقهاء الملة الذين منهم هؤلاء المذكورين قال: **(وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين)** هذ اللفظ لفظ أصول الدين قد عبر به العلماء قديماً وحديثاً ومن استدرك على هذا التعبير فإنه لا يستدرك على تقسيم الدين لأصولٍ وفروع وإنما الاستدراك ينصب على ما يدخله الفقهاء أو الأصوليون في الأصول ويخرجونه منه وإما أن يكون في الدين ما هو أعظم بعضه من بعض فهذا أمرٌ طبيعي من المعلوم أن الله تعالى عظم أشياءً وقدمها وأخر أشياء وكذا نبيه لكن الخطأ والاستدراك هو في ترتيب بعض المتأخرين من الأصوليين لما هو من أصول الدين وما هو من فروعه فيؤخذ عليهم مثلاً: أنهم يجعلون الصلاة مثلاً من الفروع لا يعدونها من الأصول وهي في الحقيقة من أصول الدين،

الصلاة عمود الدين فهذا لأنهم جعلوا الأصول فقط تتعلق بالمسائل الاعتقادية والواقع أن الأصول تتعلق بالمسائل الاعتقادية والمسائل العملية فما عده النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل فكله أصول.

إذاً: لا حرج أن يعبر بهذا التعبير أصول الدين و فروع الدين بناءً على وجه الأهمية والتقديم وهذا تجده حتى في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الذي استدرك على هؤلاء الأصوليين طريقتهم في التقسيم.